الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

غزة وعالمية الحج

لقد فرض الله شعائر الدين لتكون مرتكزاً أساسياً تطوف حولها أرواح المسلمين، فتجعل منها نفساً واحدة تتألم وتفرح وتتأمل، وذلك لأنّ الأمة الواحدة جسد واحد يَطْرَب بفرح بعض أجزائه ويتّرح لمصاب منه، ومن كان خارجاً عن دائرة الألم والأمل فهو جرثومة خطيرة تتربص دائماً بجسد الأمة الذي أنهكته الجراح، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال الحبيب ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

---

١ رواه مسلم (٦٦- ٢٥٨٦).

إن اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها في بقعة واحدة كل منهم يحمل همًّا متّقداً بين جوانحه يتطلّع من خلاله ولو على الأقل أسبوعاً واحداً في السنة ليجد لعلاج مصائب أمته فيه بلسماً شافياً، ويؤدي فيه فريضة الله.. لحري أن يجعل من المسلمين قوة يُحسب لها ألف حساب، أما حينما تُفَرَّغُ الأركان الدينية والشعائر الإسلامية من مضمونها الهادف فإنها تصبح أوعية فارغة، وظاهرة صوتية لا تخيف عدواً ولا تُفرح صديقاً، وقد عرف أعداؤنا عظمة الحج والجمعة والقرآن؛ فاجتهدوا في صرف المسلمين عن مضامينها، يقول رئيس بريطانيا الهالك: «إذا أردتم أن تقضوا على المسلمين فلابد من هدم الكعبة ومنع الجمعة وتحريف القرآن».

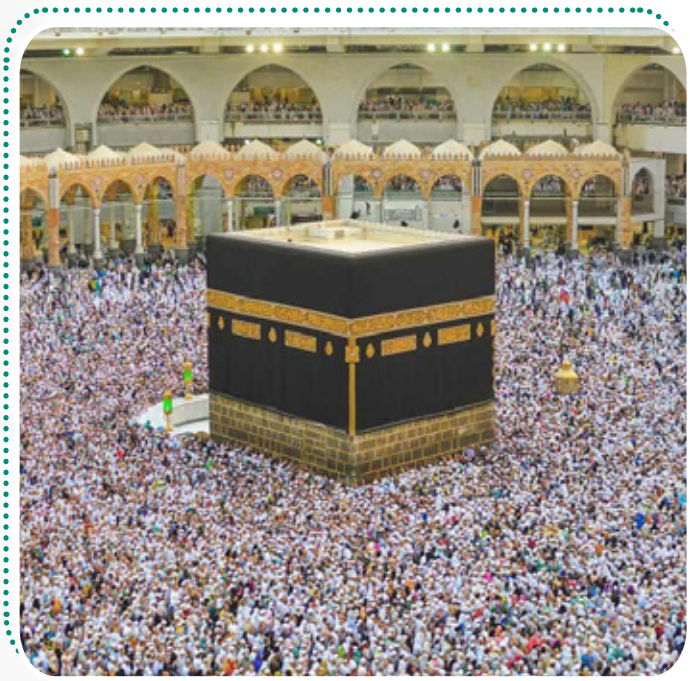

قد عرف أعداء الأمة أن القرآن هو روح الأمة الذي لا تعيش إلا به، فإذا أبعدوها عنه عاشت بلا روح، وأن اجتماعهم يوماً في الأسبوع يشكل تذكيراً لهم لما ينبغي فعله في أسبوعهم القادم وتبين لهم فيها أحكام الدين، وأن مشهدهم العظيم مرة في السنة حول بيت الله الحرام يجعل منهم أمة تعيد مجدها وحضارتها، وتتفقد كسورها لتجبرها، وعوارها لتسده، وفشلها لتتخطاه لأمة عظيمة، وقد رأى أعداؤها تحطيم معانيها السامية من تلك الشعائر الربانية، وزرع الفتنة بينها، وتولية الرعاء الذي لا يحسن أحدهم التسبيح والتمجيد لله تعالى بل لآلهة بشرية تصنع منه خطيباً يلوك حروفاً بعيدة عن المغزى الأسمى، والهدف الأعلى.

إن مصابنا جلل، ومرضنا خطير، وحالنا سيء ما دمنا قد مددنا أعناقنا لأعداء الداخل قبل الخارج، ولن يكون لنا في العالمين نصر ومجد ما لم نتوحد على توحيد الله تعالى وحده دون آلهة القبور والقصور، وأن نستعيد مجد الفاتحين الذين صرخوا بسيوفهم قبل حلوقهم: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

دعاء الحجيج

لقد بقيت الأمة ردحاً من الزمن وهي تدعو في صعيد عرفات ليحرر الله المسجد الأقصى من براثين بني صهيون، ولطالما قنت أئمتها في صلوات التراويح والقيام يذرفون الدموع، ويهيجون النفوس، ولكنها قصرت فيما يسند الدعاء ويحقق الرجاء، فإن مادة «دعا» كما قال علامة الجزائر محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى (رئيس جمعية العلماء المسلمين آنذاك) وقد رأى حال فلسطين في يد يهود والجزائر في يد الصليبيين، فقال: «لا تظنّوا أنَّ الدّعاء وحده يردّ الاعتداء، إنّ مادة «دعا- يدعو» لا تنسخ مادة «عدا- يعدو» وإنّما ينسخها «أعدّ- يعدّ، واستعدّ- يستعدّ».

صدق والله، فلو أنّ الحجيج بصقوا على اليهود لأغرقوهم في بحر من المخاط، ولكنّ التّواكل قد عمّق فينا انتظار النصر دون بذل جهدٍ لإعداد العدة، واستفراغ الوسع في مقارعة الأعداء، إننا لا نهوّن من شأن الدعاء فهو سلاح لمن كملت فيه شروط الاستجابة وانتفت موانعها، ولكن أمة لا

زالت تقدس الظالم، ولا يقام فيها الحق، بعيدة عن النصر، وإن أمة شرعت فيها أبواب الربا والخمر والزنا وتقديس الذات الحاكمة قبل تقديس الشرع لَحَرية أن يدوس أنفها الأقزام والحقراء.

إن فتية من أهل فلسطين عرفوا الطريق فأعدّوا ما استطاعوا رغم حصار جائر خبيث، كما حوصر الحبيب ﷺ وأصحابه في شِعب أبي طالب، لن يخيب الله مسعاهم ولن يَتِرهم أعمالهم، ولقد حققوا ما لم تحققه الجيوش العربية والإسلامية طيلة سبعين عاماً، وإن فتية من أهل القدس نبذوا وعود الخائنين، ولفظوا مواثيق الخائنين، وعرفوا صديقهم من عدوهم، واستلموا من السنن الكونية ما فيها من إيجاب، وطرحوا السلبية ليكونّ لهم شأن عظيم في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

وأذّن في الناس

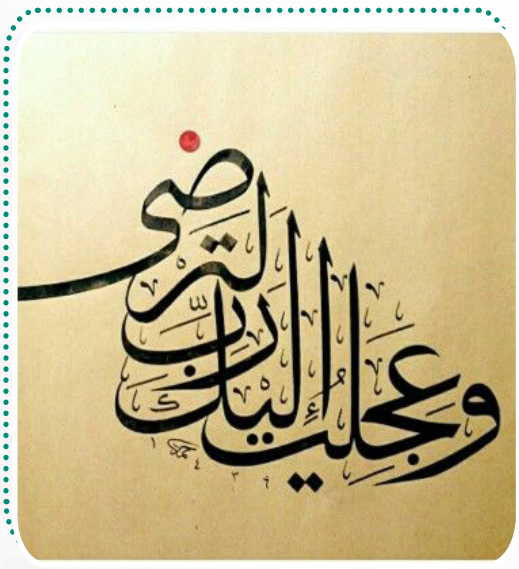

جاء الأمر من الله تعالى لخليله إبراهيم بعد أن بنى البيت العتيق ليؤذن في الناس أن الله بنى بيتاً فحجوه، فنادت الأرواح في جنبات الكون: «لبيك اللهم لبيك»، وما أحوجنا إلى أذان جديد يُسمع الكون أن فرض الجهاد لنَبْذِ الاستعبادِ، وتطهير البلاد، فيقول المسلم: «يا خيل الله اركبي»، فتتعالى الصّرخات في الأرجاء «لبيك اللّهم لبيك»، مردّدةً: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

إنني حينما أتأمل حال أمتي وحديثاً قرأته مرات ولم أفهمه حتى رأيت ما حولي من انتكاس وتراجع وخذلان، وتثاقل من غير بيان، علمت أننا لا زلنا نركض إلى الوراء، وأن محطة الانطلاق لا زالت بعيدة، وإن أحسسنا ببشائر أعلامها في تحرير أفغانستان وملاحم العزة في غزة الأبية.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة»، ثم قال: «عدو يجمعون لأهل الشام ويجمع لهم أهل الإسلام» يعني الروم «فيشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهَد إليهم أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها...»[٢].

وهذا الحديث هو في ذكر الملحمة التي تكون بين المسلمين والروم في آخر الزمان، وهي من أشراط الساعة، ولكن الذي استوقفني فيه أن أهل الإسلام رغم تلك الجولات مع ذلك العدو المتفق على عداوته، لم يفزع أهل الإسلام لمقاتلته بل سلّموا إخوانهم حتى جاءت الجولة الرابعة.

الحج والجهاد

إن مناسك الحج وأداءها على الوجه المرضي جهاد عظيم، فهو جهاد بالمال، والبدن، والنزوح عن الديار وترك الأهل والمال، تماماً كما يفعل المجاهد حينما يترك متاع الدنيا كلها ليتطي صهوة البارود، وينتقل من أخدود إلى أخدود، ولقد بيّن النبي ﷺ البدل للضعيفات عن الجهاد

٢ رواه مسلم.

في مناسك الحج والعمرة لما فيهما من تضحيات ومشقة، ففي البخاري من حديث أمنا المباركة الصديقة عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ».

فما جهاد الرجال غير ساحات الوغى تحت هدير الطائرات وأزيز الراجمات، إن فتية يسطّرون ملاحم العزّ اليوم في قلب أرض الشام لهم المجاهدون حقّا، والحاجُّون صدقاً، لن تنجو أرض المسلمين المحررة إلا بتحرير المغصوب منها.

جهاد المال

المال عصب الحياة، وشقيق الروح، ودعامة الحضارات، وإن أمة تملك الخيرات في باطن الأرض وظاهرها ثم لم تحرر رغيفها من الاستعمار، ولا دواءها من التبعية، ولا سلاحها من أعدائها، فلا أقل من أن تدعم من يصبو لتحريرها بل لتحرير العالم من الصهيونية المارقة، إن أموال المسلمين تستنزفها الحفلات الراقصة على شاطئ الدماء الفوارة، وتستبد بها العصابات المارقة في مراقص الخنا ومراتع الفساد، بينما يتضور أطفال غزة جوعاً ونساؤها ألماً وحسرة، وأسودها خصاصة من أجل دفع الباغي.

فيا أمة محمد ﷺ لا تتخلوا عن أسودكم فتأكلكم كلاب عدوكم، والسلام.